نظرات في المرأة و الحياة الأسرية

تأليف

د.مازن مطبقاني

الطبعة الأولى

1426هـ/2005م

فهرس المحتويات

[illegible]: [illegible]

- [illegible]:[illegible].
- [illegible]
- [illegible]..

[illegible]

- [illegible]
- [illegible].
- [illegible].
- [illegible]

[illegible]
- [illegible]
- الزواج الثاني ترف أم ضرورة.
- [illegible]
[illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

الفصل الخامس: الأمومة وأهميتها

- **الأمومة إحساس جميل**
- **الأمومة تجعل النساء أكثر ذكاءً**

الفصل السادس: التكافل الأسرى

- **كبير الأسرة والعيد**
- **الوقف والتنمية الاجتماعية**

المقدمة

المجتمع كائن حيوي يتغير ويتطور ويتأثر ويؤثر، وقد مرّت المملكة العربية السعودية بمراحل عديدة خلال الأربعين سنة الماضية. فقد كان مجتمعاً يكاد يكون منغلقاً على نفسه في البداية

مكانة المرأة في الإسلام

(أجـَرْ نـا مَن أجرتِ يا أُمَّ هانئ)

ينقسم الذين يتحدثون في موضوع المرأة إلى قسمين: أولئك الذين هدى الله فنظروا إلى الموضوع من خلال الإسلام، عرفوه عقيدة وشريعة وتاريخاً، وأولئك الذين غاب عنهم الهدي الربّاني فقاد الشيطان خطواتهم إلى الضلالة.

ومن الصنف الأول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) فقد كتبت قبل أشهر في جريدة الأهرام (21/2/1995م) تحت عنوان (يجير على المسلمين أدناهم)، ولم يكن قصد الكاتبة الفاضلة أن تتحدث عن مكانة المرأة في الإسلام، ولكنها كانت تتحدث عن الشخصية الإسلامية والمكانة العظيمة التي أولاها الإسلام لأفراده.

ولما قرأت مقالة بنت الشاطىء تنبهت إلى قضية خطيرة وهي مكانة المرأة في الإسلام فهاهي ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيها زوجها وهو على الشرك فتجيره، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم بقدومه.وكانت السيدة زينب رضي الله عنها تعلم أن أبا العاص لو خرج لقتل فصاحت من بيتها أيها المسلمون لقد أجرت أبا العاص بن الربيع. وهنا تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، ثم أضاف صلى الله عليه وسلم: إنه يجير على المسلمين أدناهم.) ولم يقل ابنة رسولهم أو ابنة زعيمهم أو شريفهم، ولكن انظر إلى كلمة أدناهم فكأن المسلمين سواء في هذا الأمر كما هم سواء في غير ذلك من الأمور.

فهذا الموقف لهذه المرأة الكريمة رضي الله عنها يعد في زمننا هذا عملاً سياسياً؛ فقد أعطت الأمان لرجل من معسكر الأعداء، وجعل النبي -وهو رئيس الدولة- أمانها نافذاً تلتزم الدولة باحترامه. وما كانت المرأة المسلمة لتقوم بعمل سياسي أن تخرج إلى الرجال وتختلط بهم في برلمان أو مجلس أو سوى ذلك، ولكنها أسمعت صوتها بطريقة تناسب ذلك العصر، ونحن نستطيع أن نعطي المرأة الفرصة لتكون لها هذه المكانة مع احترام خصوصيات المجتمع المسلم.

وقد تكرر المشهد في فتح مكة المكرمة حينما أجارت أم هانىء بعض المشركين وأمضى الرسول صلى الله عليه وسلم جوارها قائلا: (أجرنا من أجرت يا أم هانيء).

نستخلص من هذين الموقفين أن الفرد المسلم يمكنه أن يتخذ قراراً سياسياً تلتزم الدولة الإسلامية، وهو دليل على مكانة الفرد المسلم، وينبغي أن نفهم أن هذه المكانة هي في مصلحة الأمة الإسلامية فحينما تكون الإجارة علناً ويحترم النظام هذا القرار فإنه يمنع قيام الأفراد بأي عمل سري لإجارة يرون فيها مصلحة خاصة وهذا يتناسب مع توجيهات الآية الكريمة:{وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون}

وهذا النموذج الرائع والفريد لتقدير الإسلام للمرأة لا يمكن تقديره حق قدره حتى نلم بالنماذج التي تخرج علينا في الإعلام العالمي تنادي بتغيير التشريعات الإسلامية لتعطي المرأة- فيما يزعمون - حرية أكبر.فأي حرية يريدون؟

هذه تسليمة نسرين لا تجير مشركاً ولكنها بحثت عن الأمن عند الكفّار، وقد كتبت مجلة **المجلة** (عدد 762في 18سبتمبر 1994م) عن هذه المرأة تقول: "ونسرين في الحادية والثلاثين من العمر 000اتسمت كتاباتها في الصحف بالإباحية الجنسية التي أثارت المجتمع

البنجلاديشي المحافظ وأغضبته، أما حياتها الخاصة فتعكس الكثير من جوانب شخصيتها 000وكانت تعيش قبل فرارها إلى السويد مع رجل ثالث."
فهل تصلح امرأة هذا سلوكها أن تطالب بحرية، وهي لا تقيم للقيم والمبادىء والسلوك السوي أي قيمة؟

إن المرأة المسلمة حينما أجارت مشركاً كانت قوية الإيمان، ومع ذلك فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته: (أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له.)

وكتبت عكاظ (ع10362في 19رجب 1415هـ) حول نسرين وأطلقت عليها (لقيطة الكفر بالله) ومما قالته عكاظ: "فقد تحولت نسرين إلى وسيلة في لعبة كبرى اسمها الصراع الثقافي، فبعض دوائر الغرب كشفت عن وجهها العدائي لديننا الإسلامي 000وتسليمة قد تحولت إلى بوق للشيطان."

إن المطلوب لمواجهة المؤتمرات العالمية التي ترفع من شأن تسليمة نسرين ونوال السعداوي وغيرهما من دعاة التحرر المزعوم لا يمكن مواجهتها إلاّ بالعودة إلى الإسلام وإعطاء المرأة المسلمة الحقوق التي كفلها الإسلام لها حتى لا نعطي الآخرين الفرصة لانتقاد الإسلام بسبب ممارساتنا الخاطئة.

التربية الأسرية

عادت ابنتي التي تدرس في المرحلة الثانوية من مدرستها وهي تحمل خبراً جميلاً وهو أنه سيضاف إلى المنهج الدراسي مادة جديدة في العام القادم وهي (التربية الأسرية) أو (الحياة الزوجية) ففرحت كثيراً بهذا الأمر ذلك أنني منذ مدة والفكرة تراودني أن أطرحها بتوسع. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المجال لكنني وجدت أن الأستاذ عبد الله الجعيثن يكتب مقالات جميلة في جريدة الرياض حول قضايا الحياة الزوجية والمرأة والأسرة وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية. فتأكد لي أهمية هذا الموضوع وبخاصة أن الأستاذ الجعيثن يغوص في التراث العربي الإسلامي ويكتشف كنوزاً من المعرفة تقدم من المعالجات لهذه القضايا تفوق في كثير من الأحيان ما توصل إليه علماء الاجتماع وعلماء النفس في العصر الحاضر.

لماذا التربية الأسرية؟ أو لماذا مادة جديدة باسم الحياة الزوجية. إن النفس البشرية عميقة وتحتاج إلى جهود كبرى لفهمها وقد أدرك الغرب أنه تقدم كثيراً في مجال المادة والتقنية وصناعة الآلات والأجهزة ولكنه فشل في إدراك كنه هذه النفس البشرية التي حار الفلاسفة على مر العصور على فهمها وإدراكها. والحياة الزوجية ارتباط بين فردين وأسرتين في أسمى رباط

بشري سماه الله عز وجل باسم (الميثاق الغليظ) وورد ذكره في السنة النبوية الشريفة ب (كلمة الله). ألا يستحق هذا الميثاق الغليظ أن يفرد له منهج دراسي يوضح أبعاده وأهدافه وحقائقه وكيفية المحافظة عليه؟

إن اضطراب الحياة المعاصرة وتشعباتها وتوترها وقلقها أديا إلى كوارث في هذه الحياة أولها انتشار الطلاق، وهدم البيوت، وتشريد الأطفال وتكوين أجيال من الشباب والفتيات الذين لم يعيشوا حياة أسرية مستقرة؛ فتوجه منهم من توجه إلى الجريمة بأنواعها والمخدرات وضياع الوقت. كما أن التأخر في الزواج أدى إلى زيادة عدد الفتيات في بيوت الآباء حتى سن متأخرة مما سبب مشكلات كثيرة منها البحث عن وظيفة للفتاة كما نبحث عن وظيفة للشباب أو البحث عن كرسي في الجامعة للفتيات أسوة بالشباب. وكذلك وجود الفراغ في حياة الفتاة لا تعرف كيف تملؤه.

ومن المبررات للتأكيد على الحياة الأسرية أو الزوجية أن هذه المؤسسة من أكثر المؤسسات الاجتماعية التي تعرضت لحرب شرسة في الغرب حتى إن هذه المؤسسة إن لم تكن قد انهارت فهي في طريقها إلى الانهيار وقد استبدلوا بها في الغرب ما أسموه الحياة الزوجية بدون زواج أو ما ترجمته إحدى القنوات الفضائية العربية

(الـمُفسِدة) (المساكنة) وقد خصصت حلقة من
حلقات أحد البرامج الجماهيرية لهذا الأمر وكأننا
قاب قوسين من وقوع هذا الأمر في بلادنا. وهو لا
شك قد انتشر في أوساط المتغربين. كما قدمت
صحيفة من الصحف استطلاعاً موسعاً عن زواج
الطلاب والطالبات في الجامعات تحت مظلة
الزواج المدني. بل إن إحدى الدول العربية قررت
أن تجعل الزواج المدني دستورياً رغم معارضة
أهل الأديان في ذلك البلد ولكن لا أدري ما فعل
الله بهم هل أُقر القانون أم ما زال مشروعاً؟

ومن المبررات لدراسة الحياة الأسرية ما
قرأته قبل مدة عن صورة من الحياة الزوجية
السلبية التي كتب عنها الأستاذ عبد الله الجعيثن
وهي الحالة التي تتولى فيها مكانة الرجل في
البيت مع وجوده حيث تكون المرأة مسترجلة أو
تكون قاهرة حاكمة مستبدة طاغية. لاشك أن مثل
هذا الوضع ناتج عن تخلي الرجل عن دوره في
قيادة الأسرة. وهي بلا شك حالة شاذة لكنها
موجودة. ولعل من أسبابها تأكيد نموذج من التربية
على أن تغلب المرأة الرجل أو تسيطر عليه أو
تجعله كخاتم في إصبعها. أو هي نتيجة للمثل
الشعبي الذي يقول من (من يذبح البس ليلة
العرس). ولا شك أن مثل هذا الوضع يحتاج إلى
علاج سريع من خلال محاضرات تلقى في محافل
النساء أو دورات تدريبية قبل الزواج أو بعده. وإن

الرجل قد يحاول استعادة مكانته في الأسرة فلا يكون الحل سوى الطلاق وما يتبعه من نتائج في تشريد الأطفال وهدم البيوت.
تناولت بالأمس بعض المبررات لإضافة منهج دراسي أو مادة دراسية جديدة بعنوان (التربية الأسرية) أو (التربية الزوجية) وذكرت أن الأستاذ الجعيثن يعد متميزاً في تناوله لهذا الموضوع وقد أشرت إلى مقالتين من مقالاته في صحيفة "الرياض" كما أن الجعيثن صاحب مؤلفات عديدة في هذا المجال. وأكمل في هذه المقالة الحديث عن بعض المشكلات التي تعتري الحياة الزوجية، وكذلك أقدم مزيداً من المبررات لضرورة وجود مثل هذه المادة.
لقد أظهر الأستاذ الجعيثن سعة اطلاعه على قضايا الحياة الزوجية ففي مقالته المعنونة (علاج الملل من الحياة الزوجية)(**الرياض** 20ذوالقعدة 1419) ذكر أن الملل في الحياة الزوجية أو منها أو من شريك الحياة " شيء مؤلم ومحبط ومُغْشي بالكآبة ...إن لم نقل إنه هو السائد من أندر النادر ألاّ يمر زوجان بحالة من الملل السام.. ومن شبه المستحيل أن تمضي الحياة الزوجية في توهجها وتجددها وأشواقها وبهجتها..
وقّدم الجعيثن بعض الحلول التي من الممكن أن تقضي على الملل ومن ذلك مثلاً (الحرمان) حيث يقول فيه: "السعادة في حاجة

لبعض الحرمان والإحساس بالتجدد في حاجة لبعض الحرمان .. ولذلك فإن الرجل يجب أن يكون له بعض النشاط خارج المنزل بحيث يتحقق بعض الشوق لعودته إلى البيت أو أن يسافر أو أن تأخذ الزوجة إجازة لزيارة أهلها مثلاً بعض الوقت.

فمن الحلول التي يراها الأستاذ الجعيثن مناسبة لمحاربة الملل والسأم ما أسماه (المخدع المنفصل) وقد تحدث عنه في كتابه (قالوا في المرأة) واستشهد بدعوة ابن الجوزي إلى اعتماد المخدع المنفصل بين الرجل والمرأة. وقد سبق ابن الجوزي علماء النفس وعلماء الاجتماع بمئات السنين. ومن الحلول أيضاً الخلوة بالنفس حيث يكون للرجل والمرأة أوقاتاً يختلي الواحد منها بنفسه لبعض الوقت ويضيف في هذا الأمر أن الغربيين أكثر احتراماً منّا للخلوة بالنفس دون إزعاج أو تدخل من أعز الناس. وأذكر في هذا المجال مقالة للشيخ محمد الغزالي رحمه الله يدعو فيها المرأة أن تساعد زوجها على أن يكون له نشاط في خدمة مجتمعه خارج المنـزل فإن الرجل يجب أن لا ينكفئ على نفسه وتستأثر به زوجته وأولاده ولذلك جاء في الأثر (الزوجة والأولاد مجبنة مجهلة مكسلة مبخلة..). ومن الحلول أيضاً (الاهتمام لا الإهمال) ويختم بالحديث عن (تجديد الحياة) ويصف بعض النماذج من صور تجديد الحياة. ومن ذلك قوله " الحياة حركة

..ومن لا يتحرك يموت والماء الراكد يأسن وجراثيم الملل ليس أشهى عندها من بيت جامد ...خامد ... خامل لا تغيير فيه ولا تجديد...يومه كأمسه وغده كيومه..."

المهم إن ما أود الخلوص إليه هو أن الاهتمام بالحياة الزوجية أو الحياة الأسرية أمر مهم جداً بحيث تستحق أن يفرد لها منهج دراسي لتناول جوانبها المختلفة. ومن هذه الجوانب مثلاً علاقة الرجل بأهله أو بأمه بصفة خاصة بعد الزواج فإن الزوجات في كثير من الأحيان لا يقدرن ضرورة استمرار صلة الرجل بأمه وضرورة حرصه على رضاها. ولا أدري لماذا تنسى كثير من النساء أن بعض الرجال نتيجة حب الزوجة أو الخضوع لها يصلون إلى درجة الوقوع في حالة العقوق وهي مسألة خطيرة لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حذر من خضوع الرجل لزوجه وإغضاب أمه.

ولتتذكر المرأة أنها سيتقدم بها قطار العمر وتحتاج إلى أن ترى أبناءها قريباً منها يبرونها ويحسنون صحبتها، وما أعظم فضل الأم الذي جعل المصطفى الكريم يؤكد على أن يكون البر للأم ثلاث مرات ثم المرة الرابعة للأب. وأن الإنسان مهما فعل ليكافئ أمه فإنه لن يستطيع حتى جاء إن الرجل لو حج بأمه على ظهره فسعى بها وطاف فإن ذلك لا يعادل زفرة من

زفرات النفاس. فما باله لو أضاف إلى هذه الآلام الأيام الطوال التي قضتها في السهر على راحة الابن وصحته.

فهل يتحقق في القريب العاجل بإذن الله إضافة هذه المادة حفاظاً على مؤسسة الأسرة في بلادنا وحماية لها من الهجوم المنظم عليها؟

كوني له أمةً

أرادت امرأة عربية مسلمة هي أسماء بن خارجة الفزارية أن تقدم لابنتها النصيحة وهي تزف إلـى زوجها فكان مما قالته لها: "يا بنية إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تألفيـه وقرين لم تألفيـه،كوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يصر لك على الفور عبداً....".

لطالما قرأت هذه الكلمات التي هي جزء من نصيحة هذه الأم العربية المسلمة في معرض استشهـاد الكتاب والمؤلفين بعظم حق الرجل على المرأة. وقد قمت بترجمتها إلى الإنجليزية لأقدمها نصيحة لامرأة غربية تزوجت حديثاً. وفي حوار لي مع زميل دراسة قديم قال: ما هذا الكلام (الفارغ) أو السخيف؟ كيف تقبل أن تكون المرأة أمة للرجل؟ فهل حقاً تدعو الأم ابنتها لتكون أمة للرجل ؟ وهل هذه حقاً هي النظرة الإسلامية للعلاقة بين الرجل والمرأة؟

وأخذت أفكر في هذه النصيحة محاولاً الخروج عن الفهم الحرفي للنص إلى الدخول إلى أعماق النص- كما يقول نقاد الأدب- لمعرفة مراد أسماء بنت خارجة، فكان مما فتح الله به علي أن رجعت إلى تراثنا الإسلامي العظيم المتمثل في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فوجدت أنها تأمر الرجل بالإحسان

إلى المرأة سواء كانت ابنة أو زوجاً أو أماً. فقد كان من آخر وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بالنساء، ومن الأحاديث التي نرددها قوله عليه الصلاة والسلام (خيركم ،خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وقول السيدة عائشة رضي الله عنها(كـان في مهنة أهله، كان يرقع ثوبه ويخصف نعله)، ومن أعظم اللمحات النبوية الكريمة أنه إذا دخل بيته أول ما يفعل هو أن يتسوك.

إن هذه المرأة العربية المسلمة عبرّت بكلماتها هذه عن بعد نظر عجيب ودقة في صياغة النصيحة وبلاغة عالية. فقد أدركت بحدسها وفطنتها أن المرأة ينبغي أن تكون إيجابية فاعلة، وتكون صاحبة المبادرة لأنها أدركت أنها لو فعلت ما أمرتها به فهي الكاسية: "كوني له أرضاً يكن لك سماء، كوني له مهاداً يكن لك عماداً)، ونأتي إلى العبارة التي لم تعجب زميلنا وقد لا تعجب الكثيرين لأنهم اكتفوا بظاهر العبارة. "كوني له أمة يكن لك على الفور عبداً"

لا شك أن النصيحة لم تقصد العبودية الذليلة بمعناها الحرفي فقد جاء الإسلام ليحرر البشرية من كل أنواع العبوديات؛ ذلك أن أول كلمة ينطق بها من يريد دخول الإسلام أن ينفي العبودية لكل شيء سـوى العبودية لله الواحد الأحد " لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله". فما العبودية التي

قصدتها المرأة؟ إن العبد هو الذي يتنازل عن إرادته ورغباته وشهواته لمن ملك أمره، فالمرأة إذا ما أسلمت زمام أمرها لزوجها، فإنه بلا شك إذا كان سوي العقل صحيح الأخلاق سيبادر إلى تقديم نفسه ليكون طوعاً لها لا يخالفها ولا يغضبها ولا يستبد بها. وكأنّ أسماء بن خارجة قد سبقت زمنها وسبقت أولئك الذين يقولون بأن الزوجين يصبحان شيئاً واحداً يصبحان كياناً واحداً. فما أعجب بلاغتها فقد أكدت لابنتها أنه سيصبح لها على الفور عبداً. وقد توقفت عند كلمة على الفور أهي لضرورة البلاغة أو المقصود تحقق النتيجة ؟ لا ليست للبلاغة ولكن لتأكدها من تحقق ذلك.

ويبدو لي أن الأمور قد تغيرت في زمننا فيسبق الزواج فترة الخطبة التي يزعم الكثيرون أنها أسعد فترات حياتهم. وهي الفترة التي يحاول كل من الخطيبين أن يظهر محاسنه ويخفي عيوبه. فيكون الرجل كريماً كرماً لا مثيل له فلا يزور خطيبته إلاّ وجيوبه وأيديه مليئة بالهدايا لها ولأمها ولأخواتها وإخوانها. يعامل الجميع بلطف واحترام ومودة. وتقدم الخطيبة أحسن ما عندها من أخلاق فهي المرأة المشتاقة إلى لقاء الخطيب تتفنن في الزينة وفي إعداد كل ما يحبه الخطيب.

ويحضرني في هذا المقام أن القاضي شريح تزوج امرأة فلما بنى بها(دخل بها)، فقام يصلي ركعتين يدعو الله فلما فرغ من صلاته وجدتها قد صلت معه أو بصلاته ثم أخذت تتحدث فقالت بعد أن حمدت الله وأثنت عليه:" إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأبتعد عنه .." فما كان من شريح إلا أن خطب قائلاً: "فقد قلت كلاماً أن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وأكره كذا ونحن سواء فلا تفرقي، وما رأيت من حسنه فانشريها أو سيئة فاستريها..."

ونعود إلى أسماء بنت خارجة فقد وضعت أمام ابنتها خطة متكاملة للتعامل مع الزوج وما أظنها إلا تقصد أن الزوج سيعاملها بالمثل لما تقدم من قولها "كوني له أمة يكن لك عبداً". فمما جاء في تلك النصيحة العظيمة: " الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينية فلا تقنع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلاّ أطيب ريح، والتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، واتقي الفرح إن كان حزيناً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، ولا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً، فإنك أن أفشيت له سراً لم تأمني غدره، وإن عصيت له أمراً أوغرت صدره.."

وهذه الأمور صحيحة في حق الزوج، فمطلوب منه ما هو مطلوب من الزوجة من أن يتزين لها كما كان يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان يتزين لامرأته كما تتزين له. وكذلك في بقية الأمور. فما أحوجنا في عصرنا هذا الذي كثرت فيه نسبة الطلاق أن يكون من ضمن مناهج الدراسة للذكور والإناث مثل هذه الدروس؛ فالتربية السليمة أساس في تكوين أسرة سليمة، وبالتالي مجتمعاً متماسكاً فكم من ضحايا للطلاق فجعت به المجتمعات التي انتشر فيها الطلاق حتى ساوت نسبته نسبة الزواج، وارتفعت نسبة جرائم الأحداث. وأخيراً فهل أصابت المرأة في نصيحتها أرجو أن تجيب على ذلك الكاتبات.

قضايا اجتماعية متنوعة

تفضلت إحدى شركات توزيع الصحف بوضع عدد من مجلة شهرية في صندوقي كنوع من الدعاية لـهذه المجلة، ولمّا كانت القراءة جزء من حياة الكاتب الصحفي فقد أخذت المجلة وقرأت فيها ما شجعني عـلى عدم الاشتراك، وليس ذلك فحسب بل كتبت رسالة إلى مدير عام المجـلة أقـول له فيها إنكم قسّمتم المجلة ثلاثة أقسام: قسم للجريمة، وثان لأهل الفن (قديماً كان يطلقون عليهم أهل المغنى) ونجـوم(!!) الرياضة، والثالث للشعر الشعبي أو النبطي أو العامي. وقـلت له إنني أنطق اسم مجلتكم بطريقة تقديم بعض الحروف تأخير أخرى لتصبح (0000).

وكنت أقف عند بقالة أشتري إحدى الصحف المحلية فوجدت طالباً يدرس العلوم الشرعية يشتري صحيفة تنشر كلّ أسبوع ملحقاً للجريمة. فسألته لماذا يشتريها؟ فقال: يا أستاذي هذه الصحيفة فيها ما يقرأ. وأعتقد أن ذلك اليوم كان يوم (ملحق الجريمة) ولتلك الصحيفة ملحق للفن وآخر للرياضة ورابع للدين.

وقد جمعني مجلس ببعض الزملاء وتحدثنا فيما ينشر من مشكلات أخلاقية، وجرائم في بعـض الصحف والمجلات وإقبال كثير من الشباب على هذا النوع من القراءة حتى أن إحدى الكاتبات التي كانت ترد على رسائل القراء

ومشكلاتهم ومشكلاتهن العاطفية نشرت كتاباً يضم هذه المشكلات وربما نشرت الحلول.
وتساءلنا ما جدوى نشر مثل هذه القصص التي تنشر فساد الزوجة وخيانتها أو العكس أو انحراف البنات مع السائقين ؟ وهل ينطبق على نشـرها الله تعالى: {**إن الذينَ يُحبونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لا تعلـمون}**(النور 19)واتفقنا أن نشجع كل من لا يحب أن يرى هذه الأمور في صحافتنا أن يكتب إلى رؤساء تحرير هذه الصحف للإقلاع عن نشر مثل هذا النوع الذي يخدش الحياء ويؤذي المؤمنين سماعه

وحتى يكون الأمر عملياً فإنني أذكر باختصار شديد القصة التي أثارت غيظ وحنق وغيرة من قرأهـا. والقصة روتها طالبة جامعية بأسلوب أدبي جيد تتحدث عن نفسها وأختها الصغرى والعـلاقة التي نشأت بين السائق الذي كان يوصلهما إلى الجامعة وبين أختها الصغرى .فقد كان هذا السائق شيطاناً حيث أغرى الصغرى منهما فراودها عن نفسها حتى استجابت... واستأجر شقة منذ ثلاثة أشهر يلتقيان فيها،وتتساءل الفتاة ماذا تفعل؟ هل تستر عليهما أو تخبر والدها؟

وقبل أشهر قرأت أيضاً قصة الرجل الذي استضاف أخاه في بيته وكان صاحب البيت كبـيراً

في السن والأخ الضيف في سن الشباب، وكان الشاب يعمل بنظام النوبة مما يعني أن يكون في المنزل في غياب أخيه الأكبر. وهنا وقع ما حذّر منه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الشيطان كان ثالثهما. وحصل المحذور الثاني في قوله عليه الصلاة والسلام: (الحمو الموت) وتروي المرأة القصة وهي خائفة من غضب زوجها أو من أن يحدث له مكـروه لو عرف. وكأني قلت في نفسي وقتها فليمت ذلك الزوج المغفل في سبيل أن تحافظ على شرفها وعرضها. أما أن يحدث مكروه لزوجها فذلك قدر الله عز وجل.

وفي تلك الجلسة ذكر أحد الحضور قصة ماعز عندما جاء يعترف على نفسه بالزنا وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشيح بوجهه لا يريد أن يراه، فاستنبط العلماء من هذا كراهية النظر إلى المذنبين. وذكر ثان قصة جريج ودعاء أمه عليه بأن يريه الله وجوه المومسات. وتوقف العلماء عند دعاء الأم بأنها لم تدع عليه بأن يختلط بهن أو أن يعاشرهن، ولكنها كانت على درجة من العلم بأن رؤية المومس ذنب في حد ذاته أو مصيبة. فما بالنا نستهون الحديث عن الفساد؟

أعرف يقيناً أن السكوت عن هذه المشكلات أو عدم عرضها في العلن لن يلغي وجودها، ولـكني على يقين أن الحديث عنها يعطي ضعاف النفوس الجرأة على التحدث عن هذه المشكلة أو

تلك في العلـن متخذاً من نشر هذه القصص في الصحف دليلاً على أن الأمر مسموح به. وكم سألني أحد تلاميذي : ألا تقرأ صفحـة كذا في الصحيفة الفلانية في يوم كذا؟ قلت أمر بها مر الكرام فإنني أتضايق حينما أشعـر بأن هناك حرمات تنتهك وأعراض تلوث وأخلاق تدنس وذنوب ترتكب فلماذا أزعج نفسي بقراءتها؟ وأصرّ عليّ بأن أكتب عن المشكلات الاجتماعية فها أنا أستجيب له، وأسأل الله لي وله الإخلاص في القول والعمل.

وعودة إلى هذه الصحف فإنني أدعو العلماء والمشايخ الفضلاء ليقدموا لنا الموقف الشرعي من التوسع في نشر المشكلات الاجتماعية والأخلاقية التي تتضمن الحديث عن جرائم في حق أعراض المسلمـين. فالأخلاق الأخلاق من أسس هذا الدين وإنني أحب دائماً أن أستشهد بقول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنـه حينما سأله النجاشي عن الإسلام فقال له: "كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفـواحش ونقطع الأرحام ونسـيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف ، فكنّا على ذلـك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعـرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحـده....وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمـانة وصـلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحـارم

والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيـم وقذف المحصنات ..."، فما أعظم هذه الأخلاق وما أبعدها عن الفواحش. ولنذكر قوله تعالى { **إن الله يـأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**}.

- **مهنة الأب هل يختارها الأبناء؟**

أعرف أن كثيراً من القـراء قد يفهم من هـذا العنـوان أنــني أقصد أن يســير الأبنــاء على خطى آبائهم فيختارون المهنة التي كـان يعمل بها الآبـاء، فيتوارث الأبناء عن الآباء المهنة التي يعملون بهــا. ولكني قصدت في هـذا العنـوان شـيئاً آخر تمامـاً. وهو أن يعــترض الأبنــاء على مهنة أبيهم لأســباب كثيرة ومن أهمها أن هذه المهنة لا تدر دخلاً كافيـاً يناسب تطلعــاتهم المادية في هــذا الــزمن الــذي ازدادت فيه حمّى الاســتهلاك حــتى ظهر هنـاك ما يعرف بالاستهلاكية.

فمـتى يحق للأبنـاء أن يطلبـوا من آبـائهم أن يغـيروا مهنهم أو مــتى يحق لهم أن يطلبــوا منهم البحث عـن عمل إضــافي لزيــادة الــدخل؟ فمن المعــروف أن الزوجـات أحيانــاً يكن الســبب في خــراب الــبيوت حين لا تكـف عن تقــديم طلبــات الشــــراء والـــزوج المســـكين لا يجد وســـيلة إلاّ الخضوع لهذه الطلبات. وذلك لضعف في شخصية الرجل أمــام إلحــاح أو (إصــرار) الزوجة أو أمــام

توسـلاتها بشـتى الوسـائل المشـروع منها وغـير المشروع، أو هروباً من الإزعاج المستمر.

وإن كان بعض المساجين المعسرين قد دخل السـجن لعـدم لقـدرة على سـداد ما عليهم من ديـون. فلا شك أن بعض هـؤلاء دخلـوا ميـدان التجارة فقدر الله عز وجل عليه الخسارة لأسـباب كثيرة منها قلة الخـبرة، ونقص المعرفة بأسـاليب البيع والشراء، أو قسـوة المنافسة في السـوق أو غـير ذلك من الأسـباب ولكن ثمة أسـباب أخـرى للإفلاس منها إصـرار الزوجة والأبنـاء على أن يعيشـوا فـوق المسـتوى الـذي يؤمنه دخل الـزوج فيضـطر للاسـتدانة من هنا وهنـاك فيقع ضـحية الديون وتراكمها حتى لا يستطيع لها سداداً.

وقد تحدثت كتب التراث كثيراً عن الأدبـاء أو رجـال الفكر الـذين عاشـوا في ضـائقة مالية أو عـاشوا الكفـاف أو دونـه، ولكنّي لم اطلع كيف عاشوا داخل أسرهم، هل وجدوا معانـاة مع أهلهم مع الزوجـة والأبناء ، هل وجدوا من الأبناء مع كان يطلب منهم أن يـترك مهنة الفكر والأدب ليبحـث عن وسيلة أخرى للعـيش؟ هل طـالبوهم مثلاً أن يبحثـوا عن عمل إضـافي؟ أو إن هـؤلاء الأدبـاء والمفكرين كانوا يعيشون في سلام فكان أبناؤهم وزوجـاتهم متعـاطفين معهم فلم يكونـوا يزيـدون الطين بلّة أو إن الزوجة والأبنـاء كـانوا يـدركون

أهمية العمل الـــذي يقـــوم به الأب، ولم يكونـــوا مصيبة فوق المصيبة.

- **الزوجات العاملات والبنات العاملات:**

مع أن عمل المـــرأة أمر لم يعـــترض عليه الإسـلام إن كـانت المـرأة تـؤدي واجبها الأول وهو رعاية الأسرة الرعاية الصحيحة ولم يؤد إلى تمـرد المرأة بسـبب اسـتقلالها الاقتصـادي أو المنّ على الــزوج والأبنـــاء، وكـــان هــذا العمل بعيــداً عن الاختلاط بالرجــال ويحافظ على صــيانة المــرأة. لكننا نواجه قضــــية أخــــرى لعلها أخطر من عمل الزوجة فعمل البنت أصبح مصدر دخل لبعض الآباء الــذين يصــرون على اسـتمرار البنـات في العمل ليملؤوا جيوبهم كل شهر برواتب البنـات فيكونـون سـبباً في عضل البنـــات أي تـأخير زواجهن لهـذا السبب. فهل تتدخـل جمعيات الخدمات الاجتماعية أو تخصيص جهة في المحاكم الشــرعية تلجأ إليها هؤلاء البنات لتزويجهن بدلاً من الوصـول إلى سن متقدمة دون زواج (أو العنوسة).

- **رأسين في الحلال:**

مثلان شائعان ومتناقضان أحدهما يشجع المســاعدة في الــزواج والثــاني يحــذر من ذلك فالأول يقول (يا بخـت الذي يوفق بين رأسـين في الحلال) والثاني يقول (السير في جنــازة أولى من السير زواج: أي المساعدة في البـحث عن زوجة) فأيهما أولى بالاتباع ؟ كان الشـيخ سـعيد الغامـدي

في جـدة قد أعلن منذ مـدة أنه يسـاعد الراغـبين والراغبـات في الـزواج. ولكن أين عنـاوين هـؤلاء الناس أمثـال الشـيخ سـعيد الغامـدي؟ هل وجـدوا أزواجاً لكل الراغبين ولكل الراغبات ولم يعد لدينا مشكلة في هذا المجال؟ أعتقد أن هذه القضية لم تنته بعد فما زال العدد الكبير من النساء في حاجة إلى أزواج وكثـــــير من الرجـــــال في حاجة إلى زوجات. فحبذا لو اسـتمر الإعلان عن هـذا المكتب أو المكـاتب المشابهة فمن الذي يحتفـظ بعدد من صحيفة مر عليها عدة سنوات. ولمـاذا لا نسـتخدم وسـيلة الكتابة بـأن يقـدم راغب الـزواج ما يحتاجه في الـــزواج وأســـباب ذلك وأن يقـــوم المكتب بدراسة الطلبـــــات وعرضـــــها على ما لديه من الطلبـات المقابلة حـتى يتم التوفيق بين الراغـبين في الـــــزواج. ولا بـــــأس أن يحصل المكتب أو المكــاتب على رســوم تقــوم بمصــروفات هــذه المكاتب.

- **الزواج سكن ومودة ورحمة:**

هكـذا أراد الله سـبحانه وتعـالى الـزواج في قوله تعـالى{ومن آياته أن خلق لكم من أنفسـكم أزواجـاً لتسـكنوا إليها وجعل بينكم مـودة ورحمـة، إن في ذلك لآيـات لقـوم يتفكـرون}(الـروم 21)، ولكن ما يحـدث في الواقـع أحيانـاً يجعل الـزواج

شــــيئاً آخر غـــير ما أراده الله عز وجل فقد تبـــدأ العلاقة بين الرجل وأهل المرأة بشيء من الخـداع حــول المــرأة ثم تكــون الطلبــات الــتي لا حد لها فكأنهم يختبرون حقيقة رغبة الشاب في الاقـتران بــابنتهم. وأحيانــاً تحــدث المشــكلات ليلة الــزواج وكــأن الأمر معركة بين أهل العــريس والعــروس وليس تكوين أســرة جديـدة ومصـاهرة تقـرب بين الناس.

الزواج مثنى وثلاث ورباع

يقول الرجل لو قبلت أم محمد أن أتزوج أخرى لتزوجت اليوم قبل الغد!! تسمع هذه العبارة من كثير من الرجال، فهل صحيح أنهم يقصدون ما يقولون؟ ومتى كانت أم محمد تقبل أن يأتي لها الرجل بضرة؟ يكفي أن اسمها ضرة جاء من الضرر. غير أن لنا سؤالاً هل هذا الضرر أمر متحقق لا محالة من كل زواج ثان وثالث ورابع؟

يحصل الضرر من الزواج في أمور حقيقية وأخرى متوهمة. فالحقيقة أن الرجل الذي كان يعيش في بيت واحد سيقسم وقته نصفين فلن تراه أي من زوجتيه أكثر من نصف الوقت(لو كانتا اثنتين) بعد أن كان الوقت كلها لتلك الزوجة. ويتحقق الضرر إن كان الرجل غير منصف أو كان جائراً في تعامله مع زوجاته. ويكون ضرراً إن زاد الظلم لدرجة الهجر.

والضرر وهمي لأن بعض النساء يرين أن قلب الرجل لا يمكن أن يتسع لأكثر من زوجه، وأن زيادة الحب القلبي لإحدى الزوجات سيكون دافعاً للظلم. فأما أن قلب الرجل لا يتسع لأكثر من واحدة فأمر غير حقيقي؛ ذلك أن الرجل يتسع قلبه لنساء كثيرات بل إن بعض الرجال في مجتمعات غير مسلمة قد يحب المئات، وكلهن في نظره حبيباته وعشيقاته اللاتي أصبنه بالوله.

فهل ثمة حب؟ نعم إنها حالات فردية محدودة يكون القلب مشغولاً بشيئ واحد. ومازلت أذكر حديثاً للدكتور مصطفى محمود في التلفاز عن العلاقة بين الرجل والمرأة بأنها لا توصف بالحب فهي علاقة مودة ورحمة وعلاقة سكن واطمئنان، أما الحب فهي العلاقة بين العبد وربه {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}، وقوله تعالى {يحبهم ويحبونه}.

فلماذا يصعب على المرأة في العصر الحاضر أن تقبل بامرأة أخرى إن كانت هي الأولى؟ إنها تراكمات غرستها الثقافة الغربية التي غزتنا حتى أفقدتنا كثيراً من مكونات هويتنا وشخصيتنا. نعم جاء بعض المبتعثين من الغرب ومعهم فكرة المرأة الواحدة التي ابتدعها النصارى زوراً وبهتاناً فلم تكن لا في إنجيل ولا توراة وإنما أقحموها ليسموا الرباط المقدس. نعم بعض النساء في بلاد عربية إسلامية مثل موريتانيا تقول للرجل (لا سابقة ولا لاحقة ولا نعمل في شغل البيت) ولكن حتى في تلك المجتمعات أعتقد أن هذا الأمر ليس هو القاعدة.

لماذا الحديث عن الزواج مثنى وثلاث ورباع؟ هل في الزواج بأكثر من واحدة حل لمشكلات العنوسة وزيادة عدد النساء عن الرجال؟ نعم قد يكون الأمر كذلك، ولكن التشريع الإسلامي لم ينزل لحل مشكلة قد توجد وقد لا توجد ولكنه

تشريع ثابت يناسب كل الأزمنة والأمكنة. فلذلك الزواج مثنى وثلاث ورباع له أهداف وثمرات وفوائد لا حدود لها لو كانوا يعلمون.

كم من زواج ثان أو ثالث أنقذ ما قبله من زواج؟ وكم زوجة جعلت النكد والغم والشر أمراً أساسياً في حياتها فكان على الرجل أن يبحث عن مكان لينقذ حياته فكان الزواج بالثانية أو الثالثة؟ وكم من قصة مأساوية ما كان لها حل إلاّ بأن يتزوج رجل قادر شهم كريم تلك المرأة التي إما طلقت أو مات عنها زوجها. وكم علاقة أسرية بنيت وتوطدت بسبب زواج ثان أو ثالث أو رابع.

نحن بحاجة حقيقية إلى أن نعيد مؤسسة الزواج إلى أسسها الإسلامية وإلى أهدافها العظيمة التي شرع الإسلام الزواج مثنى وثلاث ورباع من أجلها.

العيد وكبير الأسرة

كلما حلت علينا مناسبة عيد الفطر أو عيد الأضحى تذكرت كم من الأسر قد أصابها التمزق والتشتت والفرقة، وقد وصل الأمر ببعضها إلى النزاعات والمحاكم. وهو أمر لا يليق بنا في هذه البلاد التي ما تزال والحمد لله من أكثر البلاد تمسكاً بشرع الله وبالقيم والأخلاق الإسلامية. والأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع وقد حرص الإسلام على هذه اللبنة في تحديد العلاقات الأسرية داخل الأسرة الصغيرة بين الزوج والزوجة ثم بين الأبناء والوالدين واتسع هذا الاهتمام لينال الأسرة الكبيرة التي تضم الأعمام والأخوال والخالات والعمات. ويتضح هذا في قول الله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم أقاربه وعشيرته إلى الإسلام. ومن حرص الإسلام على الأسرة الكبيرة أو العشيرة الآيات والأحاديث التي تدعوا إلى صلة الرحم والعناية بها ومن ذلك –على سبيل المثال فقط – قوله صلى الله عليه وسلم: (من أراد أن يوسع له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه)

وقبل أن أتحدث عن المشكلة وكيفية حلها أقدم بين يدي موضوعي بعض الأبيات الشعرية التي حفظتها من المرحلة المتوسطة للشاعر الأموي المقل المقنع الكندي، وهو محمد بن ظفر

من قبيلة كندة كان له مكانة كبيرة في قومه وكان سمح اليد لا يرد سائلاً. وقد جاء في قصيدته الأبيات الآتية التي يقول فيها :

يعاتبني في الدين قوماً وإنمــا ديوني في أشيـاء تكسبهم حمـدا
أسد بها ما قد أخلوا وضيعـوا ثغور حقـوق ما أطاقوا لها سـداً
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها مكللـة لحماً مدفقـــة ثـردا
وفي فرس نهـد عتيق جعلتـه حجـاباً لبيتي ثم أخدمتـه عبـداً
وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما شيمة لي غيرها تشبـه العبـدا
وإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجـدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن همو هووا غيي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل ما لي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهـم رفــدا

كان هذا المقنع الكندي قبل أكثر من ألف سنة، وقد عرف بأنه كان كثير المال وقد أنفقه في الكرم والسخاء حتى إنه لم يكن يرد سائلاً فلما أتلف ما تركه له أبوه استعلاه بنو عمه

وعيرّوه بفقره وبما عليه من دين فقال هذه الأبيات يعاتبهم فيها. وهو يستمد هذه الشيم مما ينبغي أن يكون عليه شيخ القبيلة أو رئيسها أو كبيرها حتى وإن لم يكن أكبرهم سنّاً.ونظراً لأنه شاعر أموي فلا شك أنه استمد هذه القيم من ديننا الإسلامي الحنيف الذي يدعو إلى صلة الرحم وإغاثة اللهفان وفك العاني وإصلاح ذات البين .

وإننا لنجد في كلمات السيدة خديجة رضي الله عنها في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم – التي أسماها الشيخ محمد الصادق عرجون الكلمات النورانية- أساساّ لهذه القيم الرائعة –التي تكاد تضيع - (كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتغيث الملهوف ، وتعين على نوائب الحق.) وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلاً حتى إنه أعطى أعرابياً غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه قائلاً : عدت من عند من يعطي عطاء من لا يخشى الفقر..)

إننا ونحن نستقبل أيام عيد الفطر المبارك بحاجة إلى أن نرى الكبار في الأسر سواءً كانوا الكبار في السن أو الكبار في المنصب والجاه والمال يتحركوا للم شمل الأسر. فما أعظم هذه الأبيات التي قالها المقنع الكندي. والمال في أيدي كثير من كبار الأسر لا يستخدم لما ذكره المقنع الكندي وإنما بلغت الأنانية وحب النفس مبلغاً

عجيباً فأصبحت الأموال الطائلة أرقاماً فلكية في البنوك المحلية والعالمية وأسواق الأسهم والبورصات والشركات. وتظهر هذه الأموال بين الحين والآخر في إقامة الحفلات والمناسبات. أما البحث عمن يستحق أن يساعد من أبناء الأسرة أو في لم شمل الأسرة في المناسبات فقليل ما يحدث هذا.

لاشك أن من حق الكبير أن يذهب الجميع لأداء واجب الاحترام ولكن هذا الكبير في حاجة إلى أن ينفق من وقته بعض الشيء ليجمع أفراد الأسرة حوله ويبحث في شؤونهم. فإن كان يقضي بعضاً من وقته أو معظمه في دراسة الصفقات التجارية والدراسات وغير ذلك من الأعمال التي لا تنتهي فليخصص من وقته جزءاً للتعرف إلى أفراد أسرته التي يريد أن يكون الكبير فيها دون أن يبذل أي جهد حقيقي ليستحق هذه المكانة.

ومن واجبات كبير الأسرة أن ينفق مما أعطاه الله على ما يجمع به شمل أسرته، وحتى وإن كان لا يريد إنفاق المال فلا أقل من إنفاق بعض الوقت للتعرف على أفراد أسرته وأن يجمع شملهم. فما أجمل تلك الأيام الخوالي التي كانت الأسرة تجتمع في بيت الكبير في اليوم الأول من أيام العيد فإننا في وقت لا يعرف أبناء العم أسماء

بعضهم بله أن يعرفون أشخاصهم وهمومهم ومشكلاتهم.

فهل نجعل العيد عيداً حقيقياً يا من منّ الله عليكم بأن جعلكم في موقع الكبير في أسركم وجعل لكم أموالاً طائلة؟ إن صلة الرحم التي وعد الله بوصل من يصلها تناديكم، وإن أعظم الأجر في الإصلاح ذات البين وإزالة الخلافات والحزازات تتطلب نفوساً كبيرة فمن يتقدم في هذا الشهر المبارك أو في أيام العيد. اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً. اللهم آمين.

كبير الأسرة وعيد الأضحى المبارك

لماذا نحِنُّ للماضي؟ لماذا يزعم الزاعمون أن الماضي أَفضل من الحاضر أو هل صحيح ما قاله جورج جرداق "إنما الحاضر أحلى...؟ نعم نحن نحنّ للماضي لأننا نجد أن فيه بعض الصور المشرقة التي ليست في حاضرنا ولأن صفاء النفوس ونقاءها كانا أكثر مما هما في الوقت الحاضر. ومن الصعب تشخيص هذه الحالة بدقة ولكن علينا أن نسعى إلى أن نستعيد بعض تلك الصور المشرقة بأي وسيلة كانت.

عندما يهل علينا عيد الأضحى المبارك نحن الذين تجاوزنا الأربعين والذين نحمل في ذاكرتنا صوراً لتجمع الأسر في هذا العيد المبارك حيث لا تخلو عائلة من كبير لها أو بيت كبير يجمع الأسرة في أيام العيد المبارك فيلتقي أفراد العائلة الذين يقدمون إلى المدينة المنورة من مختلف مناطق المملكة إن كانوا من أهل المدينة، وكذلك الحال في المدن الأخرى. وفي هذا الاجتماع يتبادلون التهاني بالعيد فيحرص الصغار على التقدم للكبار لتهنئتهم بالعيد والحصول على العيدية التي تدخل الفرح والسرور على نفوس الصغار كما أنها تشعر الكبار بأن عليهم أن يقدموا للصغار ما يدخل الفرح والسرور عليهم. ويلتقي الكبار فيشعروا بحقيقة أخوتهم وقرابتهم. ولعل بعض الأسر ما تزال تعيش هذه الأجواء المباركة في العيد. وكان

من النشاطات المعروفة الخروج إلى البساتين والمزارع وقضاء أيام العيد هناك للاستمتاع بالاجتماع وذبح الأضاحي والاستمتاع بالشواء والسلات.(طعام خاص بأهل ا لحجاز يطبخ في عيد الأضحى بصفة خاصة)

كما أن زيادة حجم الأسر والانشغال بالدراسة والعمل طوال العام، يعطي الفرصة لأفراد الأسرة الواحدة أن يتعارفوا فيتعارف أبناء العمومة وأبناء الأخوال وأبناء الخالات والعمات والأصهار. أليس هذا مطلب أساسي من مطالب الشرع الحنيف حين دعا إلى صلة الأرحام حتى جاء في الحديث القدسي أنه من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله. وما الذين يحرصون على متعهم الذاتية ويبتعدون عن اللقاءات الأسرية في هذه المناسبات إلاّ من المقصرين في وصل هذه الصلة العظيمة.

ولكن حدث في بعض الأسر وربما الكثير منها أن كبار الأسرة لم يعودوا يقومون بدورهم الحقيقي فبعد أن انتعش الكثيرون منهم اقتصادياً أصبحوا يفضلون قضاء الأعياد مع أسرهم الصغيرة وبخاصة بعد أن أصبح لهم أحفاداً من أولادهم وبناتهم في مقار إقامتهم أو لعل البعض منهم يكتفي بأسرته الصغيرة هو وزوجه وبعض أولاده بالسفر إلى خارج البلاد. وقد مر على بعض الأسر أكثر من عشر سنوات أو أكثر لم يلتقوا كلهم في

مكان واحد في العيد أو في سواه وحتى مناسبات الأفراح أو العزاء لم تعد تجمعهم حيث لا بد أن تجد أكثر من واحد منهم يقوم بأداء الواجب هاتفياً.

وإنني لست مع الذين يلومون الزمن الذي دافع عنه الشاعر بقوله :

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

كما أنني لست مع من يلوم الجيل الجديد في تقصيره في حق الكبار وعدم الحرص على توقير الكبار واحترامهم. فما زال بين أظهرنا من تجاوز الستين أو أكثر من ذلك وعليهم مسؤولية كانوا يؤدونها قبل سنوات بعيدة وأصبح الأمر الآن أكثر يسراً في تحقيق هذا الأمر .

فيا كبير الأسرة أسرع في أداء واجبك في هذا العيد واجمع أفراد أسرتك وأصهارهم في بيتك أو استراحتك. وتعرف إليهم جميعاً وادعهم إلى التعارف والتآلف. وانس ما يمكن أن يكون قد ارتكبه أحدهم من إساءة في حقك فالكبير لا يحمل الحقد كما قال الشاعر

ولا أحمل الحقد القديم عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جلّ مالي إن تتابع لي غنى وإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا

وأذكرك أنك إذا كنت ذا مال وجاه اليوم فقد يأتي يوم يحتاج أبناؤك أو أحفادك إلى أقاربهم فإن

لم تقدم على هذا العمل لنفسك ولتكسب الأجر
من الله عز وجل فليكن في نفسك أنك تقدم
لأبنائك ولأحفادك ولبقية أفراد أسرة من الجميل
ما ستجد من يذكره.

الوقف والتنمية الاجتماعية في الإسلام

عقدت ندوة مباركة في رحاب البيت العتيق حول الوقف ودروه في التنمية الاجتماعية والثقافية في حياة الأمة الإسلامية برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ودعيت للكتابة حول الوقف وأهميته في حياة الأمة، وأردت أن أستجيب للدعوة الكريمة لولا أنني لم أجد الوقت وفيما كنت أبحث في ملفاتي وجدت أنني كتبت عن أهمية الوقف تعليقاً على مؤتمر عقد قبل سنوات، وكان مؤتمراً عالمياً حول التنمية الاجتماعية للنظر في أحوال الدول الفقيرة وكيف يمكن للدول الغنية مساعدتها كما يزعمون. وفيما كنت أتابع وسائل الإعلام في حديثها حول هذا المؤتمر التقطت مقابلة إذاعية مع الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ فهمي هويدي. وقد أشار الكاتب الفاضل في حديثه إلى مؤسسة الوقف في الإسلام وأهميتها في تحقيق التوازن في المجتمع الإسلامي بالتعاون مع المؤسسات الأخرى كالزكاة والهبة والصدقة و الميراث والتوزيع العادل للثروة والتكافل الاجتماعي بصورة المختلفة.

ولمّـا كان حوار الإذاعة محدد بزمن قصير فلم أستطع أن أحتفظ في ذهني بكثير من المعلومات التي أوردها الأستاذ فهمي هويدي، ولذلك رجعت إلى كتاب مهم من كتب " التنوير " الحقيقي وهو كتاب الدكتور المجاهد الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى (من روائع حضارتنا) وفي هذا الكتاب فصل مهم عن المؤسسات الخيرية في الحضارة الإسلامية تحدث فيه السباعي عن الوقف وكان مما قاله:" كان الوقف هو الحجر الأساسي الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية في تاريخ حضارتنا. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من ضرب المثل الأعلى لأمته، فأوقف سبع بساتين على الفقراء والمساكين والغزاة وذوي الحاجات 000 ثم تتابع المسلمون بعد ذلك جيلاً بعد جيل يوقفون الأراضي والبساتين والدور و الغلات لأعمال البر."(ص136-137)

ومن المؤسسات الخيرية بناء الخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين ذوي الفقر ،ومنها التكايا والزوايا التي ينقطع فيها من شاء لعبادة الله عز وجل، ومنها بناء بيوت خاصة للفقراء .ومن المؤسسات الخيرية التي أفرد لها الدكتور السباعي فصلاً خاصاً المستشفيات والمدارس. وقد تناولت الأستاذة

زينب أحمد حنفي في مقالتها في جريدة عكاظ يوم الأحد 27محرم 1416هـ هذا الموضوع تحت عنوان (مستشفيات كوقف إسلامي) وأشارت إلى أن الدعوة إلى إنشاء هذه المشروعات لا يقلل أبداً من الجهود المباركة التي تبذلها وزارة الصحة في بلادنا، ولكنه سيكون مجالاً للأثرياء من أبناء هذه البلاد الذين منّ الله عليهم بنعمة المال أن يضعوا المال في مجال تحتاجه الأمة. وختمت مقالتها بقولها بأن تطبيق هذا المشروع " سيخفف الضغط على المستشفيات الحكومية، وإلزام الجميع بالتعامل مع الطب كمهنة إنسانية قبل كل شيء"، وإنني أسأل طلابي في مادة النظام السياسي الإسلامي عن وجود مدارس خيرية أو مستشفيات أو غير ذلك، وتكون الإجابة بأنه لا شيء من هذا موجود سوى ما أعرف عن مستشفى خاص بالمدينة المنورة يجعل الكشف مجاناً يومين في الأسبوع، أما ما يقصم الظهر من الإقامة والأدوية فليس هناك من يتبرع بتوزيعها مجاناً.

وثمة جانب مهم في هذا الموضوع وهو الأوقاف الخاصة -وقد كتبت مرتين من قبل- التي لا تزال الإفادة منها محدودة كما يشير إلى ذلك كثير من الناس لأسباب متعددة لا أريد العودة إلى الحديث عنها،

ولكني قرأت قبل أسابيع أن إحدى الدول المجاورة قد أنشأت مؤسسة أو هيئة خاصة للإشراف على هذه الأوقاف ومتابعة استغلالها الاستغلال الصحيح وتوزيع الواردات بأمانة وعدل. فهل لنا أن نفكر في دراسة هذا المشروع وتبني تطبيقه على الأوقاف الخاصة. ويمكن البدء في المشروع بتوزيع استبانات على أصحاب الأوقاف الخاصة الحالية ومدى الإفادة منها وتحقيقها للهدف الذي أراده الأسلاف رحمهم الله تعالى فكم من الأوقاف لا يعرف أصحابها عنها شيئا لأن بعض النظار يعتقدون أنه ليس من حقهم أن يعرفوا أي شيء.

وأضيف إن كثيراً من المدارس الوقفية لم يعد لها وجود، فليس في المدينة المنورة سوى عدد محدد من هذه المدارس مع أن هناك عشرات الأوقاف لمدارس ليست موجودة في أرض الواقع وباستطاعة هذه الأوقاف أن توفر عدداً طيباً من المقاعد الدراسية لأبنائنا وإخواننا المقيمين معنا لو فتحت فهل ينظر في ذلك؟ كما أن هناك أوقاف على طلبة العلم فهل يجعل جزء منها لاستضافة العلماء ومكافأتهم لإلقاء المحاضرات وإعداد البحوث ودعم مشروعات البحث العلمي المعطلة أو المتعثرة ؟

دور المرأة في حياة الرجل..

تروي كتب السيرة النبوية الشريفة أن

الرسول [illegible]

راتب الزوجة: الثعلب ومالك الحزين

[illegible]

(3 [illegible] 1419) [illegible]

[illegible]

مسلسل تلفزيوني وتعدد الزوجات (*)

[illegible]

* كتبت الأستاذة فاطمة السروجي في جريدة المدينة المنورة(6شعبان 1412) معلقة على مقالتي هذه مؤيدة أن المسلسلات التلفزيونية تشوه كثيراً من المفاهيم والقيم الإسلامية الرائعة ، كما أنها تبث أحياناً مفاهيم خاطئة وأشارت إلى المسلسلات البدوية وما يسمى الحجر وما يتبعه من مآسي(حجر البنت على ابن عمها فلا تتزوج غيره حتى لو لم يردها أو أحب غيرها أو هي أحبت غيره أو تقدم لها غيره) ومما قالته:" وموضوع تعدد الزوجات لم يكن يوماً قضية تؤرق بال المرأة لولا ما تشاهده كل يوم وتسمع به في الحياة من مآسي نتيجة عدم إنصاف المعددين وظلمهم ، ولنقل نتيجة إساءة استعمال شرع أحله اله . فالعيب ليس في التعدد بل في المعددين، ويزيد الطين بلة تلك المسلسلات التي تنقل الصورة السيئة للتعدد وبالتالي تفاعل الزوجة الأولى مع هذا التضرر الحاصل."

* -- كاتب صحفي في جريدة المدينة المنورة وكان قبل تقاعده يعمل مديراً لفرع وزارة العدل في المدينة المنورة وهو كاتب اجتماعي متميز في طروحاته وتوجهاته الإسلامية الرصينة.

والمرأة عاملة أيضاً

ومن منكن مثل خديجة؟

الانفصال العاطفي

ما رأيك في رفيقي درب اتفقا على السفر في راحلة واحدة، يأكلان من إناء واحد، ينامان في مكان واحد ولكن بينهما ما بين السماء والأرض وربما أبعد، عندما بدأت الرحلة كان الابتسام والوئام والمحبة والمودة ترفرف عليهما يضحكان سوياً ويحزنان سوياً، ولكن حدث في أثناء الرحلة ما بعد بينهما أو هو شرخ حدث في علاقة بعضهما ببعض أو بدأ جدار يظهر بينهما كأنما كان لهما أرض مشتركة نبت فيها جدار كما ينبت العشب وازداد الجدار طولاً حتى لم يعد يرى أحدهما الآخر ولا يسمعه.

هذا حال كثير من البيوت في زماننا هذا. ما الذي أوصلنا إلى هذا الأمر؟ هل بناء البيوت لا يتم وفق الطريقة الصحيحة؟ هل نسي الآباء (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه) وهل نسي الرجال (فعليك بذات الدين تربت يداك) وهل نسي البنات والأولاد دور الآباء والأمهات في المساعدة في الاختيار؟ لا أدري لعل ثمة أسباب أخرى جعلت البناء يُبنى على أسس غير صحيحة.

إن هذه الحال شجعت الكثير من العلماء والكتّاب والمصلحين الاجتماعيين يعملون على البحث عن وسائل لهدم هذه الجدران العشوائية التي تنبت في البيوت، حتى إن كاتبة أمريكية أصدرت قبل أعوام كتاباً (أتمنى أن يترجم) بعنوان

(الزوجة المستسلمة) ولها مجموعة نقاش في الياهو. فهل ثمة نصائح إضافية يمكن أن نقدمها؟ أو هل ثمة مزيد على كل هذه الجهود؟

لو فكرنا قليلاً في هذه المعضلة التي خربت كثيراً من البيوت وتكاد تأتي على المزيد لوحدنا أننا بحاجة إلى خطوات عملية لإنقاذ البيوت من خراب قريب. وكذلك لنبني بيوتاً لا تصل إلى هذه المرحلة الحرجة التي يهددها الخراب.

وبكلمات موجزة جداً أقول حسن اختيار الزوج والزوجة أمر يحتاج إلى أن يتريث فيه الإنسان كثيراً كثيراً سواء الرجل أو المرأة. وثانياً التربية للرجل وللمرأة، للرجل أن يكون رجلاً حقاً يتصف بصفات الرجولة. وما أجمل استخدام رجال في القرآن فوصف الأنبياء بأنهم "رجال"، وامتدح الذين يعمرون بيوت الله بأنهم "رجال" فهل نربي أبناءنا على الرجولة الحقة؟

أما بالنسبة للفتيات فأين الأم التي تقدم النموذج في تقدير الرجل واحترامه، وأين تلك النصيحة الرائعة (كوني له أرضاً يكن لك سماء، كوني له مهاداً يكن لك عماداً، كوني له أمة يصر لك على الفور عبداً..ـ أين الأم الناصحة،

وثانياً هل ربينا أنفسنا وأولادنا على أن يكون لهم ساعات تأمل وتفكر ومحاسبة ومراجعة للنفس؟ إن البيوت لا تصل إلى تكون الحواجز فيها والوصول إلى الطلاق العاطفي إلاّ لتراكم

المشكلات والأخطاء من كلا الطرفين. ما زلت أذكر القصة التي رويت عن علي بن أبي طالب أنه تخاصم مع السيدة فاطمة رضي الله عنها فخرج من البيت، لم يرد أن تصل الخصومة إلى مدى بعيد. فجاء المصطفى صلى الله عليه وسلم يبحث عنه فوجده في البيت بعد أخبرته فاطمة رضي الله عنها بالقصة، فجاءه في المسجد فقال له قم يا أبا تراب عد إلى بيتك، ولم يجعل من تلك الخصومة قضية يبدأ فيها العتاب والتلاوم. كم من الآباء من يسعى في الإصلاح بين بنته وزوجها بهذه الطريقة النبوية الرائعة؟

ومن مِن الرجال من يعتني بأهله كسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، كان أول ما يفعل حين يدخل بيته يتسوك ليكون في أطيب راحة بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم؟ كم من الرجال من تحمل له زوجه الطيب لتطيبه إذا خرج؟ هذا ما كانت تفعله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث تقول(طيّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطيب المطيّب بأبي هو وأمي لإحرامه قبل إحرامه) كم من الرجال من يأخذ أهله ويتسابق معهم كما فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إن الانفصال العاطفي في بيوتنا هذه الأيام يحتاج إلى كثير من القول والعمل والاجتهاد من الرجل والمرأة ومن الوالدين فحرام أن نعيش

حياة متوترة فوق ما تصيبنا وسائل الإعلام
والفضائيات والحياة عموماً من توتر.

الزواج الثاني ترف أم ضرورة

كتب الأخ الدكتور عبد القادر طاش- رحمه الله- مقالة بعنوان (الزواج المبكر)**(المدينة المنورة** 29صفر1416هـ)، وهي قضية حساسة تحتاج إلى العديد من المقالات تتبعها خطوات عملية لتشجيع الشباب على الإقدام على هذا الزواج حتى يصبح القاعدة لا الاستثناء .وقد ذكرّني هذا المقال باستطلاع صحافي أجرته الصحافية سارة القثامي قبل عشرين سنة تقريباً ركزت فيه على الجوانب السلبية في نظرها لهذا الأمر ،ويسّر الله لي الرد على مقولتها مستفيداً من كتاب الشيخ الدكتور مصطفى السباعي (رحمه الله)(المرأة بين الفقه والقانون) . وقد قدّم الدكتور السباعي مبررات عليمة قوية تشجيعاً للزواج المبكر.

ولكنّي في هذه المقالة أود أن أطرح قضية مختلفة -وأعتذر مقدماً للدكتور عبد القادر لأنني عكست عنوان مقالته- وهي قضية الزواج المتأخر ولا أقصد به أن يكون الزواج الأول متأخراً، ولكن الزواج الثاني أو الثالث أو الرابع0000

فحينما كنت أبحث في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931-1939) اطلعت على كتاب الشيخ محمد علي دبوز بعنوان (أعلام الجزائر) وفيما أقرت في تراجم بعض العلماء أنه بعد أن بلغ الخمسين رزقه اللـه بزوجة شابة أو

فتاة كاعب أو فتاة ناهد جدّدت له حياته وشبابه.
فتعجبت حينها من هذا الكلام لأنني كنت في الثلاثينيات ولم أدرك حقيقة هذا الأمر.

وفي يوم الجمعة الموافق (21صفر 1416هـ) اطلعت على مقالة للدكتور صالح كريم في جريدة "**عكاظ**" والدكتور صالح كريم متخصص في الأحياء -ولا ينبؤك مثل خبير- حيث تحدث عن التغيرات البيولوجية التي تحدث للرجل والمرأة إذا تقدما في السن. وذكر أن جهاز المبيض عند المرأة يخف نشاطه أو يتوقف بعد بلوغها سن الأربعين أو بعد ذلك بقليل وهذا يؤثر في نشاطاتها الزوجية ،وهي بالتالي تفقد كثير من نشاطها وحيويتها - ولا يغررك الأصباغ-وقد قال الشاعر عن هذه الحال:

عجوز ترجي أن تعود فتية وقد ضمر الجنبان واحدودب الظهر

تروح إلى العطار تبغي شبابها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

ولا يغرنا أن الممثلة العالمية جين فوندا أصدرت أشرطة فيديو للرشاقة، أو أنها تزوجت بعد الخمسين ،فلن تكون في حيوية ابنة العشرين أو حتى ابنة الثلاثين. ولا يغرنا أيضا عمليات التجميل التي تؤخر ظهور التجاعيد. وفي الوقت نفسه يحتفظ الرجل بنشاطه وحيويته حتى بعد بلوغ سن الستين أو زيادة ،مما يعطل اللقاء

الزوجي أو يعيقه وكم من زواجات فشلت بعد هذه السن حيث تصر المرأة على أنها ابنه العشرين دون أن تدرك أن هذا وهم لا حقيقة له. ولذلك عندما نسمع عن طلاقات متأخرة يسرع الكثيرون منّا في اتهام الرجل بعدم الوفاء (وربما رددوا أمثال المرأة :أمان الرجل مثل وضع الماء في الغربال)

ولكن للزواج المتأخر جانب آخر ربما تناوله الدكتور صالح كريم بإيجاز وهو الناحية النفسية؛ فحياة الرجل قرب الخمسين أو بعدها بقليل تحتاج إلى تجديد نفسه ،بل ربما انقلاب كامل في نظام حياته وبخاصة إذا كان من الذين أتيحت لهم الفرصة ليغيروا طبيعة عملهم وهم قرب الأربعين. لا أقول أنه من الضروري أن يمل الرجل المرأة أو تمل المرأة الرجل بعد طول العشرة، ولكن من المحتمل جداً أن تصبح العلاقة فاترة بين الزوجين حيث تقل عناية المرأة بالرجل ،بل لعلها تهمله فقد أصبح ملكها كل هذه السنين ،فما الداعي للاهتمام به.

وأذكر في هذا المجال الصور الطريفة التي قدمها الشاعر البحريني المبدع وهو يتحدث عن جدته وهي تودع زوجها إلى الباب تهتم بأدق تفاصيل ملبسه وهندامه كأنه عريس في العشرين وليس في الخمسين أو الستين. وفي المقابل المرأة المعاصرة التي نادراً ما تهتم بمثل هذه

الأمور، بل قد تعدها تافهة .ولعل من أسباب الإهمال إلقاء المسؤولية على الخادمات. ولكن العجيب كما يقول أحد الإخوة متى كانت بيوتنا تخلو من الخادمات حتى تتعلل نساء هذا الزمن بإلقاء المسؤولية على الخادمات ،ولكن في السابق كان للخادمة حدوداً لاتتجاوزها أما اليوم فلم يعد كبير فرق بين مسؤولية الاثنتين ،وكم من رجل تزوج من خادمة تركتها الزوجة لتؤدي عنها أعمالها.

ولا بد من الإشارة إلى حجة من يعارض زواج الرجل ذي الخمسين من فتاة ناهد وهو التوافق الفكري ،وتلك حجة باطلة فكم شابة استطاعت أن تدرك اهتمامات زوجها وتقف معه وتتفهم مسؤولياته أكثر من المرأة المقاربة له في السن. ولعل أجمل مثال ما قامت به السيدة عائشة رضي الله عنها من تفاعل مع الدعوة الإسلامية ، فلم يمنعها صغر سنّها على أن تكون نعم العون والمساند للرسول صلى الله عليه وسلم حتى كانت أحب الناس إليه رضي الله عنها. وكم من الشيوخ من يتمتع بروح تمتلئ حيوية وشباباً أكثر من الشباب.

وثمة مسألة أثارها شخص يعارض مثل هذا الزواج فقال :وماذا يفعل الشيخ بعد عشر سنين؟ هل سيبقى على حيويته ونشاطه ،وهل هو قادر على تحمل دلال وغنج الشابة حين تحمل

وتضع؟ وهل يستطيع أن يربي أبناءه وهو في الستين؟ تعجبت لهذا الأفكار ؛ فمن يضمن أنه سيعيش إلي بعد دقائق أو حتى ثواني .ومتى كان الموت وقفاً على كبار السن؟ ثم من قال أن الشيخ لا يستطيع أن يربي أبناءه، وهو الذي يعتني بالأحفاد في هذه السن. ولا شك أن هذا الزواج قد يكون سبباً في عناية الشيخ بصحته الجسمية والنفسية حتى يستطيع أن يواجه متطلبات الحياة الزوجية.

ومما يدعو إلى مثل هذا الزواج أن الزوج سيغيب عن بيته وأسرته الأولى يوماً يعطيهم الفرصة للراحة والاسترخاء ويستعدون لليوم الذي سيأتي فيه ،وبخاصة إذا كان هذا الزوج من الصنف (الحار) أو الحمش)أو المزعج ،وكم من زواج من هذا النوع أتى بالسعادة التي كانت مفقودة، فلماذا لا نشجعه وندعو إليه ؟

الأمومة إحساس جميل

تناولت مجلة **أهلاً وسهلاً** في إحدى سفراتي قبل سنوات وقرأت موضوعاً كانت كاتبته امرأة وطبيبة. وقد تحدثت في مقالتها حول موضوع الأمومة فوصفت تجربتها الشخصية مع الحمل والولادة. وكان مما علق بذاكرتي وأثّر في مشاعري وصفها للحظات الولادة، وكيف أنها شعرت بسعادة غامرة بعد أن وضعت طفلها وأمسكته بين يديها، فكانت فرحتها في تلك اللحظة كافية لإزالـة كل آثار المتاعب والآلام التي عانتها. وفحصت طفلها ولمسته عضواً عضواً فأدركت أن نعمة الله عليها بإنجاب طفل سليم كانت عندها أعظم من نيلها لقب دكتورة فتعجبت من هذا الإحساس.

وبالأمس وصلتني رسالة تصف هذا المشهد وبتفاصيل دقيقة وبأسلوب ممتع، فها أنا أقدمها للقارئات ممن يترددن في الزواج أو ممن يؤخرن مسألة الإنجاب منبهاً إلى أن خيراً كثيراً قد يفوتهن بهذا التردد. وأيضاً بمكن لهذه الكلمات أن تهز وجدان أب يعطل زواج ابنته لأي سبب وهو لا يدري بأنه يحرمها من هذا الإحسان وهذه النعمة العظيمة.

كما أن في كلمات الرسالة تذكيراً للأبناء بالأم التي أمر القرآن الكريم ببرها وطاعتها وحسن صحابتها {**وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ**

إيّاه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ، ولا تنهرهما وقل لهما قولاً معروفا، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً} وقوله تعالى:**{حملته أمه وهناً على وهن}**. وجاء رجل يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم (أمك)،قال: ثم من؟قال : (أمك) قال ثم من؟ قال (أمك)، قال: ثم من ؟ قال:(أبوك).

وهاهي كلمات الرسالة-أرجو من صاحبتها أن تغفر لي نشرها-ها قد أصبحت ابنتك أماً ..، حتى الآن لا أكاد أصدق أنني الأم لهذا المخلوق الصغير...أنني التي حملَتْهُ في بطنها، وأنني الإنسانة التي قاست وعانت متاعب الحمل وآلام الولادة من أجله ... وأنني لا أزال أكابد من أجله .. أستيقظ في منتصف الليل، ومن نوم عميق لأرضعه أو أعتني بنظافته ...أعلم يقيناً أنني ما زلت في بداية مشوار صعب طويل ... لا أدري هل ستكون نتيجته ولداً باراً يقدر ما قاسته تلك الأم وعانته من أجله ...من أجله هو فقط...هذه الأم تضحي بكل غال ونفيس من أجله، ولكن يا للعجب يكبر هذا المخلوق وينسى أنه كان مخلوقاً لا حول له ولا قوة، كل ما يستطيع أن يفعله هو

البكاء، فهو يعلم أنه عندما يبكي سوف نسارع لنبحث عن سبب بكائه، ونلبي له ما يردي من إشباعه أو غير ذلك.

لن يذكر هذا الابن اليوم الذي أوجده الله في هذه الدنيا، وكيف كانت فرحة أمه به لا تقدر بأكبر نجاح في العالم..إن فرحتها به تفوق كل وصف، فهو بعد أن تسبب لها بالآم لا يتحملها أقوى الأقوياء .. فقد أفقدها أعصابها وعقلها وهي في لحظات الوضع ، وبمجرد خروجه إلى الدنيا تتلقفه لتضمه إلى صدرها وتتأمل تقاسيمه وتتفحص جسمه عضواً عضواً تتأكد أنه سليم كامل.. تنسى في لحظات ما كانت تمر به قبل أن تلمسه بيدها. ومن تلك اللحظة يمتلك هذا الطفل قلبها ويصبح شغلها الشاغل ..تخاف عليه من كل شيء ..ويملأ الفرح قلبها عندما تراه يبتسم ، وعندما تراه ينمو أمام عينيها ويكبر، ولك حركة يقوم بها، وكل صوت يصدره .. كل هذا يجعلها تنسى ما يسبب لها من متاعب، وكيف أنه شغل وقتها لدرجة أنها تنسى أن تغسل وجهها في الصباح أو تسوك أسنانها .

هذا ما جاء في الرسالة وأعرف أنها كانت يمكن أن تكتب أضعاف هذه السطور لولا أنه ربما صرح أو ربما تحرك وبدت ابتسامته فأهملت الأوراق والقلم لتناغيه وتستمتع بلحظات أنسه وسروره، أو لترى سبب صراخه.

ما أعظم إحساس الأم بالأمومة وما أسعدها به.. لقد تمنت أم أن يرزقها الله بغلام لتراه يلبس الثوب الأبيض وأنها على استعداد لتغسل ثيابه البيض مهما قام بتوسيخها، وكان هذا في بلد جوه بارد ولم تتوفر لديهم الوسائل الحديثة في الغسيل. وهذه الأم كانت من شده حبها لابنها وتعلقها به أنها أصيبت بالتيفوئيد وجف حليبها حتى إذا شفاها الله عاد الحليب كما كان مما كان مفاجأة للأطباء الذين يعلمون أن الأم إذا لم ترضع طفلها عدة أيام جف حليبها، ولكن قدرة الله أولاً ثم شدة تعلق الأم بابنها.

فيا أيها الآباء لا تؤخروا زواج بناتكم إن جاءكم من "ترضون دينه وأمانته" ويا أيها الأزواج لا تحرموا النساء من الإنجاب بحجة الاستمتاع والتآلف، فالمرأة كما قيل علمياً لا تنضج إلاّ بعد أن تنجب الطفل الأول أو الثاني، وإن ملامح المرأة تتغير بعد الإنجاب حين تكتسب مواهب الأمومة وأحاسيسها.

ويا أيها الأبناء هذه لمحة خاطفة عن أحاسيس الأمومة أرجو أن يكون فيها دافع لبر أم قد جفاها ابنها أو زيادة بر لمن هو مقصر ... والحمد لله رب العالمين.

الأمومة تجعل النساء أكثر ذكاءً

هذه رسالة إلى النساء اللاتي يعزفن عن الزواج بسبب الدراسة والتحصيل العلمي، وهي رسالة أيضاً إلى الآباء الذين يتسببون في تأخير زواج بناتهم بأعذار كثيرة . فقد اطلعت في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)* على مقالة تتحدث عن تأثير الحمل في زيادة قدرات المرأة العقلية وزيادة الذكاء لدى النساء الحوامل حتى إنه ورد تشبيه للمرأة في أثناء الحمل كمصنع الألعاب قبل موسم الأعياد حينما تكثر الطلبات ويحتاج المصنع أن يعمل بكل طاقته وهكذا عقل المرأة عندما تبدأ أشهر الحمل تبدأ طاقاتها العقلية تتفجر. وإليكم مقالة الإنترنت :

" نشرت جريدة تصدر في ولاية تنيسي الأمريكية في 11 نوفمبر 1998م مقالة بعنوان (الآثار الإيجابية للحمل) وفيما يأتي نص المقال:

" يمكن للأمومة أن تجعل النساء أكثر ذكاءً– ربما بصفة دائمة- حيث إن الهورمونات التي تنطلق في أثناء الحمل والرضاعة تغني بطريقة كبيرة جداً أجزاء من الدماغ المتعلقة بالتعلم والذاكرة وهذا ما استنتجته بعض الدراسات عن الحيوانات.

وقد نشرت هذه النتائج يوم الثلاثاء في اجتماع لجمعية علوم الأعصاب في لوس أنجلوس وهي ضمن سلسلة من النتائج المستلهمة من

المد والجزر في الهورمونات الجنسية التي تغير الدماغ.

إن دماغ الأنثى يستجيب بطريقة كبيرة لتغير مستوى الهورمونات حيث يظهر أن تركيب الخلايا العصبية يبدو أنه يتغير خلال الدورة الشهرية. وقد أظهرت الدراسات أن مخ النساء يستطيع المحافظة على القدرة على التغير خلال العمر كله.

أما الآثار المُغنية للحمل فقد اكتشفت من خلال سلسلة من التجارب غير العادية باستخدام الحيوانات المعملية من قبل علماء الأعصاب في جامعة ريشموندRichmond University وكلية راندولف ماكون Randolph Macon في ولاية فيرجينيا Virginia الذين أرادوا أن يفهموا ما تفعله المستويات العالية من الهورمونات في الحمل في تركيب الدماغ وبخاصة المتعلقة بالتعليم والذاكرة.

تظهر صور الدماغ أن التركيب الخاص للدماغ المسمى ديندريتز أساسي للاتصالات بين الأعصاب يتضاعف في أثناء الحمل والرضاعة في حيوانات المعمل. وفي الوقت نفسه إن عدد الخلايا التي تعمل كموصلات وسقالات تتضاعف أيضاً.

إن الأمهات من الفئران كن أكثر جرأة وأكثر حباً للاستطلاع وأكثر حيوية. لقد تعلمن الأحجيات

أكثر سرعة، وارتكبن أخطاء أقل واحتفظن بالمعلومات التي اكتسبنها حديثاً. وظهر أن التأثير أكثر ديمومة كما أشار الباحثون.

ويقول العالم المتخصص في الأعصاب من جامعة ريتشموند كريج كينزلي Craig H. Kinsley الذي قام بالتجارب مع عالم النفس كيلي لامبرت Kelly Lambert من كلية راندولف ماكون " إن الحمل تجربة طبيعية تماماً للأنثى له تأثير دائم على الدماغ."

"وبطريقة ما إن دماغ الأنثى في نهاية الحمل يشبه مصنعاً للألعاب في وقت عيد الميلاد يتسلم الأوامر ويستعد لزيادة الطلبات التي سيتلقاها. ويقول كينسلي: " يبدو أن هذا يفعل شيئاً ما لجعل التعليم أكثر فعالية من الإناث اللاتي لم يتعرضن للتجربة. ويقترح هذا بأن ثمة تغيراً دائماً في تصرف الأنثى يعكس نوعاً ما تغيراً دائماً في الدماغ." انتهى النص

فهل تدرك النساء عندنا والرجال كذلك أهمية الحمل في حياة المرأة، وأن الحمل يحرك الطاقات ويعيد تشغيل أجهزة الجسم، فحتى المرأة إذا بلغت الأربعين وقيل إنها لا يصلح لها أن تحمل وتضع جاء الطب ليقول كلمة أخرى أن الحمل والولادة لا يرتبطان بسن معينة. وعلينا أن ندرك أن الله الذي أودع المرأة هذه القدرات فليس لنا تعطيلها وإنما علينا أن نفيد منها. وهذه

أيضاً تذكير لدعاة تحديد النسل وبخاصة في العالم الإسلامي حيث إن الغرب يخاف مما يسميه (القنبلة السكانية) أما هم فإن سكانهم ينقصون ولا يزيدون. فما بالنا نتأثر بهم دون النظر في أن الله عز وجل قدّر في الأرض أقواتها وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

الفن والفساد هل هما متلازمان؟

هذا الخبر ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير ولكنه طريف في أن تركيا قررت أن تُدخل (نجمتها) الأولى إلى السجن لتقضى اثنتي عشرة سنة خلف القضبان. وتفصيل التهم أن هذه النجمة متهمة بالاتصال بالمافيا وتشجيع الجرائم المنظمة ويطلب المدعي العام الحكم عليها وعلى زوجها بالسجن لمدة تتراوح بين 5-12سنة. ويذكر الخبر أن المدعي العام طلب إقامة الدعاوى ضد ثمانية عشر فناناً معروفاً في تركيا لاتهامهم بتعاطي المخدرات والاتجار بها بالإضافة إلى قيامهم بتشكيل عصابات الجرائم المنظمة (المافيا) لتحقيق أهدافهم التي منها تحريرهم من بعض الأدلة التي تدينهم بالأعمال الفاضحة كالأشرطة التي تصور الفنانة مع أحد عشاقها (رغم أنها متزوجة) وهذا يدعونا إلى التساؤل عن علاقة الفن بالفساد المتمثل في العري والزنا والدعارة والمخدرات وحتى القتل؟ هل هي علاقة متلازمة؟

قبل سنوات وجدت فتاة مقتولة في شقة ملحّن كبير في القاهرة ولما كانت التهم موجهة إليه فقد اضطر إلى مغادرة البلاد والعيش في فرنسا عدة أعوام حتى استطاع أتباعه أن يجدوا الدفاع المناسب لتبرئته من التهمة، أو تسقط الدعوى بالتقادم.

وقبل سنوات تناقلت الصحف ووسائل الإعلام الأخرى خبر الممثلة وصديقها أو خطيبها وأشرطة الفيديو الفاحشة التي بدأ بنشرها بين الناس انتقاماً منها. وشبيه بهذا ما قيل عن شقة من الشقق في القاهرة والقبض على عدد من الممثلات المشهورات واتهامهن بالدعارة. وسواءً صحت تلك التهم أو لم تصح فإن وسائل الإعلام التي تعيش على ومن نشاط أهل الفن سارعت لاستضافة الممثلات المتهمات للدفاع عن أنفسهن أو استدرار عطف الجماهير دون النظر إلى أن القضية في المحكمة وفي بعض البلاد لا يسمح لوسائل الإعلام أن تتدخل في عمل الجهات القضائية.

ونشرت الشرق الأوسط(7يناير 1999م) خبراً عن أن الشرطة المصرية قد أوقفت المطربة المصرية المدعوّة شريفة فاضل لتحقق معها بشأن استخدام شقتها للعب القمار. وذكر الخبر أن الشرطة داهمت الشقّة فوجدت عدداً من الأشخاص يلعبون الميسر وأمامهم النقود. والطريف أن الخبر عرّف بالمطربة (التي كانت مشهورة) بأنها تبلغ من العمر واحداً وستين عاماً وأن تجربتها في السينما لم تتجاوز الاثني عشر فيلماً أما الأغاني فأشهر أغنياتها تلك التي غنتها بعد مقتل ابنها في معركة رمضان 1393هـ(أكتوبر 1973م). والمطربة المذكورة

تدير ملهى ليلياً في منطقة الهرم منذ مدة طويلة (كان للشيخ كشك طريقة طريفة في الاستهزاء بأهل الفساد فعندما يذكر اسمها يقول لا شرف ولا فضل..)

وقبل أسابيع انتحرت أو قيل إن راقصة مشهورة لبنانية وجدت مقتولة برصاصة وجهتها لرأسها، وكانت الراقصة تستعد للقيام بعملها (إحياء حفلات رأس السنة) في بعض مراقص بيروت. وعرف الناس قصة الفنان الذي اتهم بتعاطي المخدرات وأدخل السجن وكذلك الممثلة القديمة (علهم الآن يصفونها بالقديرة) التي دخلت السجن بسبب المخدرات. وكذلك الممثل الذي خرج على النص وتفوه بألفاظ نابية في إحدى المسرحيات.

وموضوع الفن والفساد موضوع كبير وقد ألقى أحد المشايخ محاضرة حول الموضوع بعنوان (العفن الفنّي) ولا أحب أن أكون ممن يشيع الفاحشة بالحديث عن تفاصيلها ولكني أتناول جانب من هذا الموضوع المتمثل في سلوكيات الكثيرين من المنتسبين للفن تمثيلاً وغناءً ورقصاً وغير ذلك. فإذا كان الفساد منتشر في هذه الأوساط فعلى وسائل الإعلام وبخاصة التي تعيش من الإعلانات التي ندفع نحن قيمتها من خلال ما ندفعه قيمة لهذه المشتروات من سيارات وعطور وأدوات تنظيف وأدوات زينة

ومساحيق للجمال وغيرها أن تراعي شعورنا بأن تمتنع عن إعطاء هؤلاء المكانة الأولى والمفضلة في أوقات البث. وأتعجب من بعض المنتجات التي تنفق الملايين والملايين على الدعاية ولولا أنها تحصل على مردود لهذا الذي تنفقه لما استمرت في حملاتها الإعلانية. ولو أتيح للكتّاب أو للصحافة عموماً أن تكتب عن البرامج التي تعرض مسابقات الجمال أو الأفلام الغربية التي تتضمن مشاهد خليعة و فكراً منحرفاً أو التي تستضيف بعض رموز الفكر المحارب للإسلام فتحذر المشاهدين أو المستمعين من شراء تلك المنتجات، أو لو استطعنا أن نكتب للشركات التي تصر على رعاية البرامج السيئة فإنني أجزم بأن بعض هذه البرامج سيختفي أو يتقلص إلى أبعد حد. وأذكر أن أحدهم يضطر إلى الشراء من مركز تسوق كبير يشارك في رعاية بعض البرامج التي تحارب الإسلام والمسلمين ويقول لمدير المتجر إنني مضطر للشراء من عندكم ولكنني أعارض رعايتكم لبرنامج كذا وبرنامج كذا.

نحن مادة هذا الإعلام وأبطاله فعلينا أن يكون لنا كلمة فيه وحبذا لو استمر رجال الدعوة بالاتصال بهذا المجال والعمل من خلاله فإن في المجال الفني من يرجى منهم الخير ومنهم أصحاب عقول ذكية وأفهام فلماذا ندعهم يمارسون نشر الفساد ولا نحاول نحن إصلاحهم؟